مجموعة قصصية
أكوان موازية
إسراء سامي
أكاديمية الكاتب
للنشر الإلكتروني

أكوان موازية

مجموعة قصصية

إسراء سامي

دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

رئيس مجلس الإدارة: محمود كمال

المدير العام: محمد حسن

الطبعة الأولى

الكتاب: أكوان موازية

المؤلف: إسراء سامي

تصنيف الكتاب: مجموعة قصصية

تدقيق لغوي: محمد حسن

تصميم غلاف: المروة خالد

المقاس١٤* ٢٠

الترقيم الالكتروني EBIN : 111-250-518-20

التليفون : ٠١٠٩٧٤٤٣٧٠٠ –٠١١١٢٣٥٧٤٧٣

Email:alkatebacademyforpublishing@gmail.com

موقعنا على فيس بوك: دار اكاديمية الكاتب للنشر الالكتروني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

أكوان موازية

أكوان موازية هي مجموعة قصصية، من أحب وأقرب ما كتبتُ لقلبي. كُتبتْ في أوقات وظروف مختلفة. ومما زادها قربًا لي أنها سيتم نشرها للمرة الأولى عن طريق أستاذي ومعلمي الفاضل محمود كمال.

كما أحب أن أُهدي المجموعة لأستاذي المثقف صاحب القلم المبدع محمد حسن.

وبكل الحب لمن قرأ روايتي الأولى (روح) استشعرت أنهم في انتظار لمثل هذا التنوع، وربما رؤية جانب آخر لكاتبة تخطو خطواتها الأولى نحو قلوب قراءها.

حين استيقظت يُسر!

أطلّت الشمس على استحياء من فتحات شباك غرفتها، تدعوها لاستقبال يوم جديد، فركت عينيها، ثم فتحت واحدة تلو الأخرى ببطء وتكاسل وهي تتثاءب، وترفع من عليها الملاءة التي تلتف داخلها كل ليلة.

انتبهت لصوت مذياع قادم من الخارج، صوت عالٍ إلى حد كبير.

وهذا شيء منافٍ لنظام هذا البيت.

كانت قراءة لسورة البقرة بصوت الشيخ النقشبندي.

تعجبت "يُسر"! فأمها تقدس الهدوء، وكذلك أباها.

قفزت من السرير، فتحت باب غرفتها، وخرجت وهي تجر قدميها نحو الصالة؛ لتجد تجمع لا يشهده هذا البيت إلا في ظروف خاصة..

خالتها تجلس بجوار خالها، الذي لا تتفق معه كثيرًا، ترتدي الأسود وتبكي بشدة، وهو أيضًا ترتسم على وجهه ملامح الحسرة والألم؟!

تسمرت "يُسر" في مكانها للحظات، لا تجد تفسير لما يحدث حولها الآن!

أسئلة عديدة دارت داخل عقلها في تلك اللحظة..

أين أمها؟ وأين أبوها؟

هل كانت مدة استغراقها في النوم كبيرة إلى هذا الحد؟!

من الذي توفى؟

حتى قفز أخاها الصغير داخل أحضانها وهو يبكي ويشهق قائلًا بصوت يرتجف وعيون منتفخة من بكائه المتواصل: تقول خالتي إن أمنا وأبانا ذهبا بعيداً، وليست لديها فكرة إذا كانا سيعودان مرة أخرى يا يُسر، لماذا أنتِ صامتة هكذا؟!

قامت خالتها من مجلسها لتحتضنها، وتبكي بصوت أعلى، وهي تقول: لا تقلقي يا صغيرتي، لن أترككما وحيدين في هذا البيت، ولن أتخلى عنكما، سأكون بمثابة أمكما، وسأفعل كل ما بوسعي لخدمتكما.

ظلت "يُسر" في حالة ذهول تام، ولم يظهر عليها أية ردة فعل.

سحبت نفسها من بين ذراعي خالتها، وفجأة صاحت بصوت متحشرج من فرط نومها: كيف حدث هذا؟!

متى؟

لماذا ذهبا دون سابق إنذار؟

منذ متى وأنا نائمة على هذا الوضع؟

كيف طاوع أمي قلبُها أن تتركني وأنا على هذه الحالة؟

سئمت من هذه الدوامة التي لا أخرج منها، أريد أن أعتزل النوم بقية حياتي.

حتى أهلي لم أستطع توديعهم قبل الرحيل؟

ماذا ينتظرني بعد؟

أين هما الآن؟

ومتى تم دفنهما؟

أريد أن أكون بصحبتهما يا خالتي، أريد الخلاص!

ثم خارت قواها، ووقعت على الأرض تبكي، فجلس أخوها بجانبها، واحتضنها بين ذراعيه الصغيرين وهو يهمس في أذنها: أبونا وأمنا ذهبا في رحلة عند ربنا يا يُسر، منذ أسبوع حين كنتِ مستغرقة في نومك كعادتك، انحرفت السيارة عن مسارها وهما في طريقهما للعودة من بيت خالتنا.

لم يتحمل خالها هذا الوضع أكثر، وخرج وهو يتمسك بذراع خالتها، ويقول لها: اتركيها مع أخيها، هي بحاجة للوقت لاستيعاب الوضع، فهي نائمة منذ أسبوع، وحين استيقظتْ وجدت نفسها يتيمة الأب والأم، كان الله في عونها، وفي عون أخيها.

ردت خالتها باقتضاب: معك حق. تفضل أنت بالرحيل إذا أردتَ، سأبقى أنا معهما، لن أتركهما في هذا الوضع بمفردهما

فهم خال "يُسر" ما ترمي إليه خالتها؛ فسار بهدوء نحو الموضع الذي تجلس عليه "يُسر" موجهًا حديثه إليها: حبيبتي، أنا مضطر للذهاب حالاً مع الأسف، تعلمين طبيعة عملي، سأمر غداً بإذن الله تعالى.

- في حفظ الله

نظرت له "يُسر" نظرة خالية من أي مشاعر، ثم حولت نظرها نحو خالتها التي اقتربت منها في نفس اللحظة واحتضنتها هي وأخاها في صمت تام.

دفع أخوها ذراع خالته فجأة وهو يبكي ويقول: أنتِ السبب الأساسي فيما حدث، مكالمتك لها صباحاً هي ما دفعتها للمجيء إليكِ.. ماتت أمي بسببك. وذهب مسرعًا إلى غرفته.

نظرت لـ"يُسر" بخجل وهي تعتذر: معه كل الحق، أنا السبب.

لكن" يُسر "ما زالت ملتزمة بصمتها، قلقت خالتها عليها فأمسكت بيدها وهي تقودها نحو غرفتها وتضعها في سريرها مرة أخرى: أنتِ بحاجة للراحة، اصطبغ وجهك باللون الأصفر!

ردت بيأس قائلة: وما حاجتي للراحة! ماذا فعلتُ أنا طيلة حياتي غير النوم والراحة؟!

لم تعلق خالتها، وتركتها بمفردها بعد أن أحكمت عليها غطائها.

تعلق نظر "يُسر" بالحائط المقابل لها، الحائط الذي دونت عليه مخططاتها، ورسمت كل أحلامها التي يسرقها منها نومها المتواصل العميق، ثم نظرت إلى صفحة التقويم الميلادي المثبتة على الحائط، واعتدلت في جلستها، ثم التقطت قلمًا من المكتب المجاور لسريرها، وسارت بضعف نحو التقويم لتظلل يوم جديد انتهت منه، وهي في انتظار بلوغها عامها العشرين بفارغ الصبر، حتى تنتهي من هذا الكابوس.

تقوقعت داخل سريرها لتغط في نومٍ عميق من جديد.

مشروب أحمر

كان ياما كان في سالف العصر والأوان في قرية بعيدة عن الأنظار، عاش فيها الجان، أما عن عدد السكان فكان نصف عدد الغربان. في قرية ليلها أطول من نهارها، مكثت بنت في غرفتها تفكر بحيرة فيما طلبته منها الساحرة، وكيف لها أن تحصل على مثل تلك الأشياء الغريبة!

هل أبحث في الغابة؟ لكنها بعيدة جدًا عن بيتي. لن يسمح لي أبي بالذهاب وحدي. وماذا سأقول له؟! فأنا الابنة الوحيدة؛ وهو يبالغ في حمايتي معظم الوقت. لكن في كل الأحوال يجب أن أتحرك سريعًا؛ لم يعد لديّ متسع من الوقت. الزفاف بعد أسبوع واحد من اليوم، لن أجلس هنا مكتوفة الأيدي أشاهده يستعد متشوقًا لذلك اليوم الذي سوف يجمعهما في بيت واحد!

انتظرت كثيرًا لحظة فراقهما، وحاولت أكثر لمنع هذا الزفاف لكن كل الطرق باءت بالفشل الذريع! القدر يساعدهما، يقف في صفهما، وينقذ حبهما مني في كل مرة أحاول فيها إنهاءه!

لن أتخلى عن حب حياتي، سأجازف بكل شيء حتى آخر قطرة من دمي لأحصل عليه؛ سأكون عونًا له في أيامه الحزينة، بالتأكيد سيتألم لفراقها. هذه الملعونة! لو ما ظهرت في حياته، لكنا الآن أسعد زوجين. أنا ابنة عمه، وأنا الأحق به وبحبه، لن يكون زوجًا لغيري.

كانت آريا أخت خاطر على دراية بكل مخططاتي، ولحسن حظي أنها كانت تكره ديلان وتتمنى ألا تنتمي لهذه العائلة؛ وبعد تفكير اهتدت آريا لفكرة اللجوء إلى السحر، بعدما أثبتت كل الحلول الأخرى فشلها في التفريق بين ديلان وخاطر؛ فانطلقت بحثًا عن ساحرة تساعدنا في تحقيق هدفنا المشترك، وبالفعل وجدتها بمنتهى السهولة!

ذهبت إليها آريا مرة واحدة، لكنها أصرت على أن تلتقي بي أنا. فلبيت دعوتها وذهبت في اليوم التالي برفقة آريا، أجبرت آريا على الانتظار وحدها حتى ننتهي من جلستنا. كانت امرأة عجوز خبيثة لم تخالف هيئتها توقعاتي، ترتدي معطفًا باللون الأحمر، حليقة الرأس، وتتطاير من حولها خيوط الدخان المنبعثة من أربعة قدور مستديرة تحيط بها في شكل صليب، لكن المكان له رائحة كئيبة كرائحة الموت. كيف ستساعدني تلك الغريبة على الفوز بقلب خاطر؟ كل هذه الأسئلة تعبث برأسي، وهي ما زالت تنظر نحوي وتتفحصني بطريقة مريبة أثارت في نفسي بعض الخوف على الرغم من شجاعتي التي لطالما كنت مشهورة بها؛ نجحت بنظراتها في التسلل نحو ركن ضعيف مذعور داخل قلبي العاشق.

-هل يستحق هذه التضحية؟

-عذرًا؟!

-قلت لكِ هل يستحق خاطر تلك التضحية؟

-...!

-أستطيع أن أشعر بحبك له، لكنه عشق سام؛ سيؤدي إلى خراب حياته وضياع سعادته.

-امم.. سيكون سعيدًا معي؛ أنا على يقين بعمق عشقي له.

-أنتِ في طور الهيام يا صغيرة، أنتِ مهووسة بخاطر.

-وما العيب في هذا؟!

-إن مفهومك عن الحب خاطئ؛ الحب هو الحياة وأنتِ تفعلين كل ما بوسعكِ حتى تكتبين له الشقاء.

-هل يحب ديلان لهذه الدرجة؟

-الأمر لا يتعلق بديلان أو غيرها.

-أجيبيني!

-أجل، يحبها.

-سوف ينسى من هي ديلان ويقع في حبي أنا، وأنا هنا طلبًا لمساعدتكِ في هذا الأمر؛ ومستعدة لتنفيذ كل أوامركِ.

-حسنًا، هذا العمل خطير جدًا، يجب أن تكوني حذرة ألا يشربه غير خاطر، انتبهي لأنني لن أستطيع إنقاذكِ في حالة حدوث أي خطأ.

-هل من الممكن أن أخسر حياتي؟

-وارد.

-وهل هناك خطر على حياة خاطر؟!

-أجل.

-وما العمل إذن؟! كيف لي أن أتجنب حدوث هذا؟

-باتباعك للتعليمات كما هي، لا مجال للمخاطرة هنا.

سأكتب لكِ كل ما سوف يلزمني.. أحضري كل شيء كما ذكرته هنا، لا تعديل ولا تبديل.

-حسنًا.

-لا داعي لوجود آريا، في المرة القادمة تعالي وحدك.

-حسنًا.

-أنتِ المسؤولة الوحيدة عن تجميع تلك الأشياء، لا تكلفي أحدًا غيركِ، وأخفيها عن عيون أبيكِ

-امم، حسنًا.. في كل الأحوال والدي لن يعلم بهذا الأمر أبدًا.

-ستقع عليكِ عقوبة شديدة إذا خالفتِ أيًا من هذه الأوامر.

-حسنًا.

-لا تخبري آريا بأية تفاصيل.

-حسنًا، لكن الزفاف بعد أسبوع، لم يعد لدينا متسع من الوقت!

-لا تقلقي. ابدئي فورًا في البحث وتجميع تلك الأشياء وتعالي، لا تأتي أبدًا قبل غروب الشمس.

-اتفقنا.

-هه.. وأخيرًا، لقد متُّ خوفًا عليكِ يا ليلاف!

-أنا بخير لا تقلقي.

-ماذا قالت لكِ هذه الساحرة؟ تبدو عليكِ ملامح اليأس.

-لا أعتقد أنها تستطيع أن تساعدنا يا آريا.

-لماذا؟!

-إنها ترى أني سوف أتسبب في دمار حياة خاطر، وضياع حب حياته ديلان منه.

-هل هي مصلح اجتماعي؟! أم أنها مجنونة!

-سوف أبحث عن غيرها، لا تقلقي يا ليلاف الجميلة.

- لا! لا داعٍ. أنا اقتنعت بكلام تلك الساحرة الشريرة.

-عفوًا؟!

-أجل.

-هل تتخلين عن حلمك وحب حياتك بهذه البساطة؟! هل عبثت بعقلكِ تلك المرأة؟!

-لا! لكنها نزعت عن قلبي غشاوة الحب الزائف.

أنا لا أحب خاطر، لم يكن أكثر من مجرد وهم.

-لا لا. أنا بالفعل قلقة عليكِ يا ابنة العم. هل استطاعت ساحرة أن تمحو عشقًا استقر في قلبك عشرات السنين بمجرد جلسة واحدة؟!

-أجل. لقد وصلنا البيت! إلى اللقاء يا آريا.. نلتقي في زفاف خاطر يوم السبت المقبل.

-....!

-إلى اللقاء يا آريا.

-إلى اللقاء يا ليلاف!

أغلقت الغرفة وتفحصت الورقة مرة أخرى. لم تكن كل الأشياء المذكورة فيها سهلة الحصول عليها.

بدأت في ترتيب القائمة من الأسهل للأصعب في الحصول عليه وقد كانوا:

-خنجر من الذهب الخالص.

-وردة باللون الأسود.

-٥ قطرات من دمي ودم خاطر.

-قطع زجاج من مرآة مكسورة!

-رأس ذكر غزال الرنة!

-كفن أبيض.

-عدد ٢٠ من الشموع السوداء الصغيرة!

اللعنة! لم تكن لدي أدنى فكرة عن كيفية الحصول على رأس حيوان ذكر الرنة! لكن في حال عرفت مكان تواجده، لن أتردد في قطع رأسه.

بفضل انتشار السحر في بلدتنا، فالحصول على شموع وقطع الزجاج المكسورة كانا هما الأصعب، بالإضافة طبعًا لرأس الرنة. كانت تعتبر من المحرمات.. وكل البيوت خالية منها إلا بيوت السحرة بالطبع.

لم أسألها عن سبب تلك الطلبات الغريبة؛ لكنني لم أكن بالغباء الذي يجعلني أسأل وأنا أعرف أنني لن أتلقى جوابًا يرضيني.

كان أبي يمتلك العديد من الخناجر بمختلف الأشكال والأحجام في خزنته الخاصة. لم يكن علي سوى الانتظار حتى يخرج للصيد. وبالفعل حصلت على أول طلب من القائمة التي سوف تدفعني للدخول إلى قلب وبيت حبيبي خاطر، بعدها قطفت وردة سوداء من حديقة منزلنا واحتفظت بها داخل شنطة من الجلد فجلست وحيدة حزينة خائفة بجانب الخنجر.

أما عن الطلب الثالث فبدأت معه التحديات، لو لم تطلب مني الساحرة إخفاء الأمر عن آريا لكان الأمر أسهل بكثير. كيف لي أن أحصل على دم خاطر؟!

يجب أن أذهب لمنزلهم فورًا، وأحاول جرحه والاحتفاظ ببعض القطرات منه على قماشة أو منديل خاص بي. انتهزت فرصة غياب أبي وذهبت بحجة مساعدتهم في تحضيرات الزفاف. وفي الطريق أدركت كم أنا محظوظة، وأخيرًا بدأت الأقدار تعمل لصالحي أنا! انتبهت لوجود مرآة صغيرة مندسة تلمع تحت أشعة الشمس البرتقالية بين أفرع الشجر المحطمة. انتشلتها بسرعة قبل أن ينتبه لي أحد من المارة، ودسستها في حقيبتي الجلدية، وأكملت طريقي بعدما نجحت في الحصول على رابع طلب من قائمتي العجيبة الطويلة بفضل مساعدة القدر.

دخلت من بوابة البيت الكبيرة، الجميع على قدم وساق، كل يركض في كل اتجاه، والتحضيرات شغلت الجميع حتى أنهم لم ينتبهوا لوجودي!

لكن أين خاطر؟ لا أراه وسط هذا الحشد.

على الأرجح هو في غرفته، كما هو متوقع لن يقف في صفي القدر مرتين اليوم!

تسللت باتجاه غرفته ونظرت من فتحة الباب ووجدته داخلها! يجلس على السرير يتأمل الفراغ.

طرقت الباب وحين فتح لي والتقت عيني بالنور الذي يشع من عينيه توقفت نبضات قلبي للحظات! استجمعت فيها شتات نفسي بسرعة، وأنا أقول له إن هناك كرسي ثقيل للغاية وأنني بحاجة لمساعدته في حمله.

كم كنت غبية! هل الحب يصنع من الشخص منا نسخة أكثر حمقًا وسذاجة؟!

أجاب بمنتهى اللطف وبصوته الساحر: حسنًا.. أمهليني خمس دقائق.

يا لها من فرصة!

نزلت ركضًا على السلالم الدائرية، يسبقني قلبي باتجاه أي شيء ثقيل ويمكن أن يتسبب له بجرح بسيط.

وبالفعل وجدته! كان خاطر يحب العزف على الكمان، وكان لجده الأكبر كمانًا مبتورة أوتاره، لكنه لم يتخلى عنه وقرر الاحتفاظ به. ولم يكن هذا الكمان قد تم نقله بعد. أعتقد أنه كان يقبع هنا في انتظاري!

راقبت خاطر وهو ينزل من غرفته وحين جاء سألني بتعجب أين الكرسي؟! فقلت له إنه تم نقله، ولم يتبق سوى هذا الكمان. وبالفعل كان الجميع يركضون بالخارج بما فيهم آريا.

لم يكن ضخمًا بما فيه الكفاية لطلب المساعدة، لكنه لم يلاحظ أنني أختلق كل الفرص للتقرب منه؛ فهو بكل بساطة لا يراني! وإذا به يحمله فاقتربت باندفاع نحوه في محاولة وهمية مني للمساعدة، فغرز وتر من الأوتار داخل إصبعه. وبدأت سعادتي في الظهور حين رأيت الدماء تسيل

فوق الكمان وتقع فوق الأرضية الخشبية. فشهقت وأخرجت منديلي فورًا فسحب يده وهو يقول: ليس هناك داعي، إنه مجرد جرح صغير.

فقلت مستسلمة: حسنًا.. سأخرج لمساعدتهم.

فقال خاطر: حسنًا. ثم عاد إلى غرفته.

أما أنا فغادرت بابتسامة المنتصر إلى بيتي، ولم أكن أعرف أن آريا رأتني وأنا أتسلل خلسة من بيتهم.

في نفس الليلة جاءت آريا لمنزلنا، وبعد ضغط منها اعترفت بكامل الحقيقة! وطلبت منها إخفاء الأمر عن الساحرة، فوعدتني أن تلتزم بصمتها.. ومحاولة تجميع بقية القائمة. ووعدتني باللقاء في اليوم التالي ومعها الشموع والكفن. وهكذا لم يتبق لنا سوى هذا الرأس!

لم يكن الأمر صعبًا على رجل، أما نحن فما حاجتنا لاحتراف الصيد في وجود رجال عائلتنا! فقد كانت تلك هي مهمتهم. فكرت في طلبه من أبي، لكنه يعلم أنني لسه مهتمة بأمور التحنيط. هه! يمكنني الوصول إلى رأس محنطة بكل سهولة! دون الحاجة إلى التورط في عناء المطاردة والذبح. وأوكلت هذه المهمة لإحدى صديقاتي، والتي يعشق أخوها هذا العمل وهو ماهر به. استغربت طلبي في بداية الأمر، لكنني عللت ذلك بأنه مجرد هدية لأبي في عيد ميلاده. وبالفعل اقتنعت! وفي مساء اليوم التالي، كانت القائمة قد اكتملت. وعرضت آريا الذهاب معي لكنني رفضت امتثالًا لأمر الساحرة. حملت حقيبتي وقد كانت ثقيلة للغاية، بحيث استغرق وصولي عندها ضعف الوقت تقريبًا. انكمشت تجاعيد وجهها حين رأتني، ولا أعرف لذلك سبب. فتحت الحقيبة ورصصت محتويات القائمة أمامها على الأرض الرطبة.. تفحصتها بعينيها ولم تتحرك.. وطال صمتها فبادرت أنا: لم أنسَ شيئًا من القائمة!

فأمنت على كلماتي: أجل، ارحلي فورًا وعودي غدًا في نفس الميعاد.

-امم.

-قلت لكِ ارحلي!

-حسنًا.

أكلتني الحيرة ولعب بي الغضب أثناء فترة انتظاري لها، لا أعلم إذا كنت سأحصل على مرادي في نهاية المطاف، أم أنها مجرد معتوهة تتلاعب بي حتى تحصل على المزيد من المال؟!

مرت الساعات وكنت عندها في نفس المكان القذر ذي الرائحة النتنة في نفس الميعاد.

-العمل جاهز؟

-لا.

-لماذا؟! هل تتلاعبين بي؟

-لا، أنتِ من أخلت بشروط المعاهدة.

-أنا! ماذا فعلت؟

-وكلتي مهمة إحضار الشموع والكفن لآريا.

-هه!

-هل أنتِ حمقاء لهذه الدرجة؟ ألم أحذركِ من خطورة الأمر؟ لماذا لم تأخذينه على محمل الجد؟

-امم، أنا حقًا آسفة؛ لكنني لم أستطع الحصول عليهم بنفسي.

-قُضي الأمر.

-عفوًا؟ هل خسرت خاطر للأبد؟ هل سيتزوج من ديلان؟!

-لا أعرف، ليست لدي فكرة عن عقوبتك، ارحلي الآن.

-وما العمل إذن؟

-ارحلي فورًا.. قضي الأمر.

-أعطني العمل إذن.

-لن يفيدكِ هذا المشروب.

-قلت لكِ أعطيني إياه!

-ارحلي يا ليلاف.

-لن أرحل بدونه.

-حسنًا.. أنا لست مسؤولة عن العواقب.

أخذت المشروب الأحمر وانطلقت باتجاه بيت خاطر. عازمة على أن يجعله يشربه اليوم؛ لن أنتظر المزيد من الوقت. وفور دخولي من بوابة البيت خارت قواي، وانبطحت أرضًا وتهشمت قطع الزجاج مختلطة بالسائل الأحمر.

وسط أعين مذهولة وصرخات تعلو أكثر غادرت المشهد ببطء، وتم تأجيل موعد الزفاف لحين انتهاء فترة الحداد على روحي.

ميليندا

-لم يتبقَ سوانا، أنا حزينة جدًا يا ديفيد، قتلوا صديقة أمي بكل دم بارد، ماتت إميلي يا ديفيد. بعد رحيل أمي كانت هي بمثابة أم وصديقة ومعلمة؛ إميلي كانت هي عائلتي، أنا وحيدة بدونها.

-أرجوكِ اهدئي يا ميلي؛ لن يفيد صراخكِ عليها الآن، لا نريد جذب انتباههم لنا.

-أكلوا إميلي يا ديفيد؛ لم يتركوا لي جثة أزورها وأحكي لها حكاياتي، وأذهب مع أولادي في المستقبل لزيارتها، ووضع الورود عند قبرها. إنهم وحوش! اتركني سأخلص العالم من شرهم، وأقتص لإميلي الجميلة مما فعلوه بها.

- حبيبتي، أرجوكِ اهدئي حتى نستطيع أن نفكر معًا في طريقة للنجاة من هنا.

-لن أهدأ يا ديفيد. ماتت إميلي بسببي؛ جاءت لهذه المنطقة لتطمئن عليّ. كانت آمنة في بيتها.

-ميلي، أنا واثق أن إميلي في مكان أفضل من هذا العالم؛ لأنها تستحق.

-بالفعل، كانت تمتلك قلبًا طيبًا وحنونًا. أحبكِ يا إميلي. لن أنسَ تضحيتك ما حييت.

-لا تحزني يا ميلي الجميلة، هذه الفتاة لا يليق بها الحزن أبدًا.

-أحبك يا ديفيد؛ أنت من تبقى معي إلى النهاية. إذا رحلت عن العالم مثل إميلي، سيكون آخر شخص أحتضنه هو أنت. سأترك لك دفتر أمنياتي. أرجوك أن تعدني يا ديفيد بأن تعمل على تحقيقهم.

-أعدكِ أننا سنقاوم وسنظل أحياء حتى تقومين أنتِ بتحقيقها بنفسكِ.

-فلندعُ الرب معًا يا ديفيد أن يخرجنا بأمان من هذا البيت.

-الوضع أصبح خطيرًا بالخارج. لا يمكننا الوصول إلى السيارة.

-لكن بقائنا هنا لن يغير أي شيء؛ إنها فقط مسألة وقت وسنكون أنا وأنتِ وجبتهم التالية.

-هل حاولت مع هاتفك المحمول مرة أخرى؟

-أمم، لا فائدة من المحاولة. لن تساعدنا شاشته محطمة على ما أعتقد.

- لنبحث في البيت إذًا.. فلن يخلو أي بيت من هواتف!

- بحثت عنها بالفعل أثناء نومكِ، وكلهم معطلين.

- شيء غريب!

- وما العمل؟!

-لن نيأس أبدًا، سأحاول الوصول إلى مكان السيارة في الصباح الباكر.

-لا، لن أتركك تخرج وحدك.

-أرجوكِ يا ميلي. لا نريد لفت انتباههم. الأجواء تبدو هادئة إلى حد ما في الصباح؛ سأنطلق وحدي.

- لا يا ديفيد، لن أقبل هذه المخاطرة؛ لا أريد خسارتك مثلما خسرت إميلي من قبل.

- أرجوكِ يا ميلي.. لقد حسمت أمري، وسأنطلق وحدي قبل استيقاظك، وسأعود لاصطحابكِ، أعدكِ بذلك يا ذات الشعر الأحمر.. لا تبكي يا صغيرتي.

- حسنًا، لا تنسَ بندقيتك.

-إنها معي دائمًا.

بعد مرور نصف ساعة..

-ديفيد! استيقظ يا ديفيد.

-ميلي! ماذا حدث؟! لماذا أنتِ شاحبة هكذا؟

-رأيت ظلًا يحوم حول البيت.

-هل أنتِ متأكدة؟

-نعم، لمحتها للمرة الأولى من حوالي عشرة دقائق، وبعدها أغلقت الستائر، وراقبتها في صمت.

-هل هي امرأة؟!

-أجل إنها امرأة، تبدو في عقدها الرابع، متسخة الملابس وشعرها مبعثر.

-وماذا تفعل بالخارج؟

-لست متأكدة، لكن يبدو أنها تتفحص المكان وترى إذا كان خاليًا أو لا.

-هل هي بشرية؟

-لا أعرف. لم أستطع التمييز بينها وبين الوحوش.

-امم. وما العمل؟

-لا أعرف.

-اعتقدت أننا وحدنا، ولم يتبقَ سوانا.

-وكيف سنتأكد من حقيقة ما إذا كانت لا تزال بشرية مثلنا أو لا؟

-إنها مخاطرة كبيرة يا ميلي.

-أعرف، لكننا لن نتركها فريسة للوحوش بالخارج وحدها، تبدو غير مسلحة، وتتحرك ببطء مريب.

-إذن فلنختبرها أولًا، وإذا كانت غير مسلحة ندعوها لداخل البيت.

-اقترب واجلس هنا حتى تستطيع أن تراها بوضوح.

-امم. لا فائدة من المراقبة بهذا الشكل.

-ما العمل إذن؟ هل ستدخلها البيت قبل أن نختبرها؟!

-بالطبع لا! سوف أتحدث معها، لكني لا أريدها أن تلفت أنظارهم نحو البيت؛ إنه لا يزال آمنًا من شرهم حتى هذه اللحظة. وجودها بالخارج ليس في مصلحتنا يا ميلي.

-ديفيد! أسمع بوضوح صوت خطواتها يقترب من الباب الخلفي في المطبخ.

-لا تتحركي يا ميلي. أنا قادم إليكِ.

-ماذا سنفعل الآن؟

-سنجلس في هدوء، ونرى ما ستفعله.

-ما هذا الصوت؟

-أعتقد أنها تحاول أن تفتح الباب!

-شش!

-لدي فكرة!

-هل تعرفين أن الوحوش لا يستطيعون القراءة؟

-لا، لم أكن أعرف!

-لقد اختفى الصوت.

-أعتقد أنها فشلت في فتحه.

-لكنها لم تغادر.

-أعطيني ورقة وقلم. سأكتب نحن هنا، في حال كنت بشريًا، أطرق الباب مرتين، وسنستقبلك داخل بيتنا.

-فكرة ممتازة يا ديفيد. أحسنت!

كتب ديفيد تلك الكلمات على ظرف وجده بين أغراض مالك البيت الأصلي، ثم جلس يترقب برفقة ميلي.

-ديفيد!

-إنها بشرية يا ميلي! لم تتحول مثلهم!

-أدخلها بسرعة يا ديفيد، قبل أن تأتي الوحوش وتمزقها إربًا هذه المسكينة.

-حسنًا اهدئي يا ميلي. يجب أخذ جميع الاحتياطات؛ سأحمل البندقية واتجه نحو الباب الخلفي. انتظريني هنا في مكانكِ ولا تتحركي.. اتفقنا؟

-اتفقنا.

-أيتها السيدة.. هل استطعتِ قراءة الكلمات الموجودة على الظرف؟

-نعم.

-هل أنت متحولة؟

-لا!

-ما هو تاريخ اليوم؟

-الرابع من سبتمبر عام ألفين وثلاثة.

فتح ديفيد الباب فدخلت عليهما سيدة يبدو أنها نجت للتو من حرب دموية، أو ربما كانت مطاردة من قبل حيوان مفترس.

-هه! اعتقدنا أننا الناجيان الوحيدان هنا.. أهلًا بكِ.

-أهلًا بكِ يا..؟

-ميلي. وهذا ديفيد زوجي.

-أنتِ محظوظة لوجود زوجك معكِ في هذه الحرب. أنا ميلندا.

-أين كنتِ يا سيدة ميلندا؟!

-كنتِ أختبئ داخل بيت مهجور، حتى اكتشفه الوحوش، وهجموا عليه؛ فاضطررت إلى الهرب.

-يبدو أن أحدهم هاجمك بعنف.

-أجل؛ للأسف.

-حسنًا، أنتِ بحاجة للراحة. يمكنكِ النوم، نحن متيقظين للحراسة؛ لا داعي للقلق.

-أشكرك، ولكن لا وقت للراحة، يجب أن نهرب في أسرع وقت ممكن.

-أنا بالفعل أستعد لذلك. سيارتي ليست بعيدة من هنا. لكنني أنتظر طلوع الشمس حتى أتحرك في أمان.

-ليس هناك داعٍ، أنا أستطيع التحرك في الليل.

-لا! إنها مخاطرة كبيرة يا ميلندا.

-لا تقلقي يا ميلي؛ فأنا مسلحة وأعرف كيفية التعامل معهم. في رأيي يجب التحرك وفورًا، الانتظار ليس في صالحنا.

-وأنا أتفق مع ميلندا.

-حسناً. تبدو الأجواء هادئة، سأتحرك فورًا.

-انتبهي لنفسك يا ميلندا.

-أنا خائفة جدًا يا ديفيد. ماذا لو أكلتها الوحوش؟!

-تمني لها السلامة يا ميلي.

بعد نصف ساعة سمع كلًا من ميلي وديفيد صوت محرك السيارة بالخارج.

-ديفيد! جاءت ميلندا!

-أجل! لقد نجونا يا ميلي!

-هيا هيا لا وقت للاحتفال. اركبي يا ميلي.

-اركبي يا ميلي بجانب ميلندا، وأنا سأتولى مهمة القيادة.

-ميلندا! لماذا خرجتي من السيارة؟ إلى أين أنتِ ذاهبة؟

-ميلندا! ماذا تفعلين؟

-يجب أن أقتل هذا الوغد أولًا؛ لقد التهم ابنتي أمام عينيّ.

-أووه.. ميلندا أرجوكِ اركبي.

دخلت ميلندا في صراع مع الوحش ولم تنجح في قتله.

-ميلنداااا!

-تحرك يا ديفيد. فورًا!

-ميلندا يجب نقلكِ إلى المستشفى. أرجوكِ اتركيه

-لا! قلت لك تحرك.

-ميلندا. لاا!!

-أنا آسف يا ميلي. يجب أن نغادر حالًا.

-ديفيد!

انطلق ديفيد بأقصى سرعة مغادرًا المدينة كلها، أما ميلي فكانت في حالة انهيار تام.

-ميلي اهدئي يا حبيبتي. على الأقل فعلت ميلندا ما كانت تريده قبل رحيلها؛ استطاعت أن تقتل الوحش!

رسالة إلى أبي العزيز

لا أستطيع أن أرى سطور الكراسة بوضوح بعد تجمع الدموع داخل مقلتيّ. أعترف لأول مرة على استحياء تام بأن الوحيد الذي له هذه القدرة الهائلة على تحطيم دروع مشاعري وانهيارها في غضون ثوانٍ هو أبي العزيز. الرجل الليّن مع المعارف والأقارب والقاسي معي أنا وأمي. إذا وقعت الكراسة في يد من له صلة بأبي بالتأكيد سيتهمني بالتخريف والتحريف والتجنّي على الوالد رحمة الله عليه. هو لا يزال على قيد الحياة ومع ذلك لا مانع من طلب الرحمة والمغفرة له. ربما اعتقدت في بعض الأوقات أنني أكرهه؛ لكنني وبكل أسف أحبه. نجح عبد الرحمن في كسب خوفي ومحبتي له وخسارتها لنفسي. أذكر أني كتبت له وعنه دون أن يدري، وحين وقع الدفتر في اليد الخاطئة أحرقته، ولم أكرر هذه التجربة مرة أخرى. وبما أنني على مشارف الموت فلا ضرر من التخلص من هذا الحمل الذي قسم قلبي لنصفين طيلة حياتي القصيرة فرحًا والطويلة ألمًا. عبد الرحمن كان من ضمن قائمة شخصياتي الملهمة، لدي قناعة تامة أن المبدع الحقيقي لابد أن ينزف قلبه ألمًا من جرح ما، ربما تذكرته الآن بسبب التشابه بينه وبين موظف الشباك الذي توجهت له قبل قليل؛ له نفس الشارب ونفس الابتسامة المصطنعة الخالية من أي لون وطعم. تكشيرة صاحبِها في كل الأحوال أفضل. الغالبية العظمى في مجتمعاتنا تتحسس من فكرة البوح بوجود ألم نفسي قابع داخلها خاصة في حال كان نتاج علاقة غير صحية بالأب أو الأم.

إنه الألم الذي لن تفلح معه كل محاولاتك للتجاهل أو التخفي أو التخطّي، سيظل يخزّ قلبك كلما واجهت موقفًا مشابهًا، أو حتى في لحظات الصفا بينك وبين نفسك ليعكرها لك. كتابة هذا الجزء هو الأصعب على الإطلاق بالنسبة لي، في خروج الألم معاناة، وفي كتمانه معاناة أكبر. دائمًا ما كان عبد الرحمن يعتبرني ندًا له؛ يغار مني على أمي، ويحبطني في كل محاولة جديدة أحاول فيها الخروج عن المألوف، أو عن الطريق الذي رسمه هو، عن طريق اتهامي بالفشل والتقليل مني لأتفه الأسباب.

تظهر لي على جانب عيني خيالات سوداء أشبه بأجزاء متفرقة من شبح، اعتدت هذه الأمور واحترفت تجاهلها أيضًا، ليست كل الحكايات تستحق أن تُروى.

سأشتاق لهذه الزنزانة بكل ما فيها. تم استبدال جردل التبول بقاعدة تواليت تليق بآدميتنا مؤخرًا؛ ربما هذا ما جعلني أتاقلم مع الوضع هنا. أجمل وأخطر طبع بين طباع النفس البشرية هو الاعتياد. هذا الشعور قد يصنع منك بطلًا قادرًا على كسر كل الحواجز واكتشاف طعم مختلف عما اعتدته فتتحرر، أو تفلت منك زمام الأمور فتدمر كل شيء. وقد يحولك إلى كائن الكسلان الذي حين يوشك على تحقيق حلمه، والحصول على شريكة حياته، يداهمه موعد النوم فيترك كل شيء ويستسلم للنوم

العميق، غير آبه إذا كانت ستتجدد الفرصة مع حضور يوم جديد أو لا. وهكذا تستمر في الدوران حول نفسك كعقرب ساعة عتيقة حتى تنفذ بطارياتك. أنا لا ابرر أفعالي، ولا أستجدي عطفك.

سارت كل الأمور وحتى هذه اللحظة وفق مشيئتي.

حراس النور

بصعوبة بالغة قاومت الدوار الذي ضرب رأسي، وخلق من كل ما تقع عليه عيناي نسختين متطابقتين، لكني وقفت في وضع الدفاع عن النفس، أحاول أن أتبين أين أنا، المكان مظلم تمامًا. أستطيع أن أسمع دقات قلبي المضطربة بوضوح، صرخت: هل من أحد هنا غيري؟! لكن لم تصلني أية إجابة.. سكون تام، كأنني وقعت داخل حفرة في باطن الأرض!

قاومت الخوف الذي كاد أن يشل جميع أطرافي، ومنعني عن الحركة لدقائق؛ تحركت بحذر خطوات بطيئة في اتجاه المجهول على أمل أن يظهر لي أي مَخرج. وبالفعل وجدته. لمحت شعاع نور خافتًا يتخذ شكل مثلث، وكأنه قادم من ثقب داخل باب. هرولت نحوه، وبالفعل كان الضوء صادرًا من مكان مفتاح صغير داخل بوابة كبيرة، تعجبت! ما هذه البوابة؟! هل أنا داخل حلم ما؟!

اقتربت أكثر وكلما كنت اقترب كانت تبتعد وأتبين مدى صغر حجمي أمامها!

حتى سمعت صوته!

-اقتربي أيتها الصغيرة

تسمرت مكاني للحظات، ماذا أفعل؟! الركض مفيد في هذه الحالات، لكن في حالتي الآن لا أعتقد هذا.

صرخ بصوت أعلى: قلت لكِ اقتربي! فخرج صوتي متحشرجًا بعض الشيء: لا!

لا أعلم مدة بقائي هنا، لكن من الواضح أنني لم أستخدم صوتي منذ مدة ليست بالقليلة!

لحظات صمت ملأتني رعبًا، وملئت وجهي بقطرات الترقب الساخنة.

وحين طال صمته، بادرت أنا: من أنت؟ وأين أنا؟! هل أنت حارس هذه البوابة؟!

رد فورًا: أجل! وأنتِ ماذا جاء بكِ إلى هنا؟! هل أنتِ من حراس النور؟!

تعجبت مما قاله ولم أفهم ماذا يقصد، من هم حراس النور؟! وأين أنا؟! بدأت أشعر بحرارة شديدة تلتف حولي، وبدا صوته كأنه يقف فوقي حتى شعرت أنه سوف يبتلعني!

ثم قال: امم، واضح أنكِ ليست لديكِ أية فكرة عن حراس النور. إذن أنتِ دخيلة علينا!

وصرخ بأعلى صوته: دخيييلة!

فجأة داهمت المكان أجواء الحرب! دقت طبول بنغمات قصيرة منتظمة ومخيفة، خطوات أقدام بأعداد كبيرة تركض كلها نحوي، وأعتقد أنهم يحملون أسلحة، تبين لي من صوتها أنها سيوف! أما أنا فلم أعرف اللحظة التي فقدت فيها الوعي قبل أن تصل سيوفهم إليّ!

زجاجة إصلاح كسر القلوب

في أحد أيام شهر أغسطس أثناء ذهابي إلى العمل وتحت أشعة الشمس الذهبية، لفتت انتباهي يافطة معلقة على محل صغير مكتوب عليها فرصة لتبديل وتصحيح أخطاءك!

هل ما رأيته للتو حقيقة؟!

دخلت فورًا المحل، فوجدت رجلًا مسنًا منهمكًا في إعادة تعبئة لزجاجة فارغة أمامه، مكتوب عليها بقلم أسود كسر القلوب! انتبه لي فرحب بي بابتسامة بالكاد ظهرت من وسط التجاعيد التي تستقر فوق كل شبر في وجهه، حينما شاهدني أقرأ ما هو مكتوب وعلى وجهي تبدو علامات التعجب.. فبادر موضحاً: نعم أنا أصلح هنا كسر القلوب وأداويها. ثم أخفض صوته وقال: تعال.. اقترب

اقتربت منه في توجس، فدنا هو من صدري، ووضع أذنه اليمنى حيث موضع قلبي وعم المكان الصمت وهو ينصت.. ثم قال فجأة: دقات قلبك مزعجة!

لم أستطع أن أتبين هل هو مكسور، أم هو من تسبب في كسر قلب غيره؟!

تضاعفت نبضات قلبي، وبدأت قطرات العرق في الظهور بقوة فوق جبيني، ولم أجبه! فكسر هذا الصمت قائلاً: في كلتا الحالتين دواءك بسيط. لا تقلق. أنا خبير في علاج القلوب.

كدت اشرح أكثر وقد بدت عليّ علامات التوتر.. ولكنه أكمل: من خبرتي في الدنيا القلوب أنواع: قلب مجروح، قلب مذبوح، قلب حزين، قلب مفجوع، قلب سليم، وقلب عليل. قلب فارغ وآخر ممتلئ، قلب بارد، وقلب دافئ. ثم تنهد وقال: سبحان مثبت القلوب.

فقلت بعصبية: جئتك وأنا حيران، فزدتني حيرة فوق حيرتي.

فابتسم قائلاً: لا تنزعج، فلدي وصفة لك، ولكل من يأتي إلى هذا المحل. ثم قال تكفيك زجاجة صغيرة. وبدأ ينقل القليل من الزجاجة الكبيرة التي تعلق نظري بها منذ لحظة دخولي المحل حتى امتلأت زجاجتي الصغيرة. وسلمها لي ثم أردف: انقل عني في ورقة ما سأمليه عليك.

فأخرجت من حقيبتي ورقة وقلم وبدأت في كتابة كل حرف يقوله:

-قدرك مكتوب، لا ترهق نفسك بالبحث عنه. لكن عليك أن تصلح ما أفسدته، وتعيد جبر ما كسرته. ثم اختفى خلف ستارة مهترئة كانت تحجب حجرة ما في آخر المحل! وضعت الورقة داخل حقيبتي وبجانبها زجاجة إصلاح كسر القلوب، ثم انصرفت عائدًا إلى بيتي، وبين عينيّ وصيته وعلي أن أعمل بها.. لعل بها خلاصي وانتظام دقات قلبي!

يوم كان "أملي" بين ذراعيه!

لا زلت أذكر ذلك اليوم، حين رأيتها ولم تراني.

جميع تفاصيله حاضرة في ذهني، وأنا الذي يواجه صعوبة دائماً في تذكر أي شيء وكل شيء!

كأنها تأبى إلا أن تعذبني، أحرقها.. وأطردها خارج ذاكرتي، فتعيد نفسها مرارًا وتكرارًا. كشريط سينمائي له القدرة على إعادة تشغيل نفسه مرة تلو الأخرى دون كلل أو ملل. هل هذا الشريط ضد الاحتراق؟!

ضد النسيان؟! إلى متى سيستمر هذا العذاب؟

لماذا لا تكن الكراهية سهلة بقدر الوقوع في الحب؟!

هذا القلب يتألم الآن.. ومع ذلك لا يزال يحبها!

وتتآمر ضدي معه ذاكرتي!

غادرت حياتي "أمل" ولم يغادرني الأمل في عودتها بعد!

ماذا انتظر بعد أكثر من الخيانة؟!

هل يعرف أنها حبيبتي؟! أنها أقرب لي من نفسي؟

وفي حال علم.. هل كان سيتركها لي؟!

لم أعد أريدها على أية حال.. حتى لو كانت "أمل" هي آخر أمل لي في هذه الحياة.

كنا في شهر أغسطس والشمس حارقة. ركبت كعادتي في تمام الساعة الخامسة وأنا أتصبب عرقاً. تعجبت للحظات، هل أنا روبوت؟! كل يوم في نفس الميعاد أكون على سطح هذه الباخرة! لماذا لم أتأخر يومها عن ميعادي، لم أكن لأراهما سويًا! يضمها بهذا الشكل المقزز! كنت أستقلها ذهاباً وإياباً إلى عملي. لماذا لم تفُتني في هذا اليوم؟! يقف هذا الذي لم أعرف له اسماً ملتصقاً بمن اعتقدت أنها حب حياتي، بعد انفصالنا بشهر واحد فقط! ألم تكن بحاجة لمزيد من الوقت لتتخطى جرح فراقنا؟! لحظات اعتقدت أن قلبي توقف فيها عن النبض، وزهدت فيها أنا عن الحياة.. تسمرت مكاني أتأكد إذا ما خدعني نظري، وأنها لم تكن أملي. لكن لحسن الحظ اطمأننت على مستوى نظري، وانكسر قلبي. ألم تقدر أن تلتقي به في مكان آخر، غير باخرتنا؟! أم أنها تعمدت رؤيتي لهذا المشهد، لتكتب به آخر سطر في حكايتنا؟

لا أعلم لماذا لم أغادر، كنت أريدها أن تراني.. لا، أنا كاذب كنت أريد أن أراها حتى يموت هذا العشق داخل قلبي للأبد. لكنني كنت مخطئًا.

تركت يده وابتعدت عنه قليلًا حين التقت عيني بعينها. هل خجلت مني؟! لا أعلم. لكنها كذلك لم تتركه. كم كنت مغفلًا! بالطبع لن تتركه. وصلنا وجهتنا، نزلت معه، يدها بيده، ولم تنظر لي حتى نظرة وداع أخيرة. وانتهت قصة عشق استمرت لثلاث سنوات في لحظة بين ذراعيه!

دار الأوبرا المصرية

كانت ليلة خميس من ليالي يوليو، والسماء فوق القاهرة تميل إلى العتمة المخملية، الأجواء مثالية في تلك الليلة الموعودة. أمام دار الأوبرا ازدحمت الساحة بالعربات والسيارات، رجال ونساء بأبهى حللهم، اختلطت أصوات الضحك والمصافحات مع خطوات المسرعين للحاق بالمقاعد قبل أن تُطفأ الأنوار.

وقف يوسف على درجات الأوبرا، يراقب كل ذلك في انبهار. لم يمر على عودته من باريس سوى أسبوع، لكن شيئًا في هذا الجو، في رائحة الليل الممزوجة بدخان السجائر والعطور الشرقية جعله يشعر كأنه لم يغادر قط، وكأن سنوات فرنسا ولويز لم تكن سوى حلمًا عابرًا.

كان يرتدي بذلة رمادية أنيقة، قميصًا أبيض مكويًا بعناية، وربطة عنق زرقاء داكنة. أما هارون والده، فكان يتأنق ببدلته السوداء وعصاه الأبنوسية، بينما والدته صوفي هانم أعادت ترتيب شالها الأبيض المطرز، وقالت ليوسف بابتسامة دافئة:

-تعال يا بني، لا أريد أن نفوت البداية. الليلة ستغني سلوا قلبي.. تخيل! آخر مرة سمعناها تغنيها كانت في الأربعين.

دخلوا إلى القاعة الفخمة، حيث الثريات تتدلى كنجمات ذهبية، والمقاعد المخملية الحمراء تصطف بنعومة في نظام دقيق. جلس يوسف بين والديه، لكن عينه لم تستقر. كان يتأمل الحضور والأجواء من حوله، يبحث عن شيء يجهله، حتى لمحها.

كانت تجلس في مقعد وحيد على بعد صفين، ترتدي فستانًا أزرق، ينسدل شعرها على كتفيها برقة. ويزين أذنها قرطان صغيران من لؤلؤ، وعيناها الواسعتان تتابعان أسطر برنامج الحفل كأنها تردد تعويذة سرية لا يراها سواها.

تابعها للحظات، ثم التفت إلى والده وقال:

-سأذهب لأحيي صديقًا رأيته

ضحك هارون بيه وعلق:

-وهل عندك أصدقاء في القاهرة؟

ابتسم وهو يغادر، حتى استقر بجوار مقعدها وقال بهمس:

-مساء الخير.. أراكِ وحدكِ هنا، هل لي أن أجلس إلى جانبك قبل أن تبدأ الست؟

رفعت نظرها إليه وعلى وجهها دهشة من جرأته، لم تخل من حياء:

-تفضل..

جلس سريعًا قبل أن تغير رأيها، وقال وهو يمد يده:

-يوسف.. عدت لتوي من باريس. لم أستطع أن أقاوم حضور حفل أم كلثوم.

صافحته يدها الناعمة، وقالت:

-كارمن.. جئت من الإسكندرية خصيصًا. لم أكن لأفوت هذه الليلة مهما حصل.

اندهش يوسف وقال:

-سكندرية؟ وأنا أيضًا سكندري حتى النخاع! لم أتوقع أن ألتقي بسكندرية في قلب الأوبرا الليلة.

ضحكت بخفة وعاد بصرها إلى المسرح.

وبينما كانت الأضواء تخفت، ارتفع تصفيق خافت مع صعود العازفين، ثم ظهر صوت أم كلثوم من وراء الستار. تبادلا نظرة صامتة..

وخلال الاستراحة، عادا للحديث، تحدثت كارمن عن دراستها في كلية الآداب، عن عشقها للكتب، عن ليال طويلة قضتها تسمع أغاني أم كلثوم عبر المذياع وتحلم بحضور الحفل. أما يوسف، فحكى لها عن ليالي باريس الباردة، عن المقهى الذي كان يجلس فيه يكتب رسائل إلى وطنه، وعن الشوق الذي جره إلى هنا، إلى هذا المقعد، إلى هذه اللحظة، وتغاضى بالطبع عن الجزء المتعلق بلويز.

وفي نهاية الحفل، وقف الجميع يصفقون بحرارة، دموع الفرح والدهشة في العيون. التفت إليها يوسف، ونظر مطولًا قبل أن يسألها:

-متى تعودين إلى الإسكندرية؟

-غدًا.. إلى لقاء يا يوسف.

وخرجت كارمن مع الحشود، لكن صوت أم كلثوم ظل يرافقهما، كأن الأغنية لم تنته بعد، بل بدأت لتوها.

خرج يوسف إلى بهو الأوبرا يبحث بعينيه وسط الحشود، وجوهًا كثيرة، رجالاً يدخنون السيجار ويتجادلون في السياسة، سيدات يضحكن ويعدلن أساورهن، شبابًا يتحدثون عن جمال الست تلك الليلة... لكن لم يكن بينها وجهها.

وقف عند السلالم الخارجية، نظر يمينًا وشمالًا ولثانية تخيل أنه لمح خيالها في امرأة ترتدي فستانًا أزرق لكنه سرعان ما تلاشى.

عاد بخطوات بطيئة إلى والديه اللذين كانا ينتظرانه عند البوابة. سألته صوفي هانم:

-أين ذهبت؟!

هز رأسه، وقال:

-كنت أبحث عن صديق ضاع مني فجأة.

في السيارة، بينما كانت والدته تتحدث عن جمال الحفل، وهارون بيه يمدح أداء الفرقة الموسيقية، ظل يوسف صامتًا، يحدق من نافذة السيارة يحاول أن يلتقط ملامحها بين المارة.

من تكون؟

كيف أجدها؟ ما اسم عائلتها؟ أين تسكن؟ هل كانت تلك الليلة مجرد لحظة عابرة، أم بداية قصة تنتظر أن تكتب؟ هل ما أشعر به مجرد حالة فراغ عاطفي بعد اختفاء لويز من حياتي؟

أعاد شريط الحديث بينهما، ابتسامتها، ضحكتها

شعر فجأة أن المدينة كلها صارت مسرح بحثه، وأنه عاد من غربته ليبدأ غربة جديد.

في تلك الليلة، جلس إلى مكتبه، أخرج ورقة بيضاء، وكتب:

"عزيزتي كارمن.. أكان يكفي أن ألقاك مرة واحدة، لأظل أبحث عنك بقية العمر؟"

وطوى الورقة ووضعها في درج مكتبه..

فتحية بنت عبد السلام

أنا فتحية بنت عبد السلام، بنت عادية لأب عادي.. ربما يختلف تقييمك لنا من المكان الذي تنظر إلينا منه الآن. اعذرني أحاول أن أرتب كلماتي وأجعلها تبدو منمقة حتى تليق بالوقت الذي سوف تمنحه لي لتقرأ ما قررت أن أشاركه معك عن حياتي. في الواقع أنا أمية، لا أجيد القراءة والكتابة، لجأت إلى ابنة جارتي أم حنان لتقوم بتلك المهمة الصعبة التي تتأفف منها في كل فرصة لكني حاولت السيطرة عليها وقمع تمردها مقابل مبلغ مالي متواضع، أو رشوتها ببعض الكيلوات من فاكهتها المفضلة البطيخ. أسمعك الآن.. تتساءل لماذا قررت تدوين قصة حياتي المملة.. أرجوك لا تسألني فأنا لا أملك الجواب الذي يرضي فضولك. لم يختلف وضعي كثيرًا عما حدث طوال حياتي، كنت في حالة بحث دائم عن أجوبة. تحملني قليلًا؛ فكتابة هذا الجزء أو بمعنى أدق البوح به لحنان صاحبة شهادة الجامعة المفتوحة هو الأصعب.

عبد السلام أب عادي وقد يبدو لك هذا الوصف مخل لكنه يحمل في معناه الكثير مما أريد أن أصف به هذا الرجل الذي أدعوه بأبي. في شبابه، سار على نفس الدرب الذي يسير عليه أغلب الرجال عند بلوغهم عمر معين.. العمر الذي يطلق عليه المجتمع وعماتك وخالاتك وأصدقاءك ممن سبق لهم التجربة سن الزواج. وتبدأ رحلة البحث عن امرأة بمواصفات خاصة.. امرأة تقبل البقاء تحت سيطرته المطلقة، تتحمل منه ما يتوقعه منها.. حرّكته غرائزه تجاه أمي رحمة الله عليها، كانت حب حياته على حد قوله. عارضت عائلة أمي هذا الزواج لكنه لم يستسلم؛ وفي نهاية الأمر حصل عليها. كانت نعمَ الزوجة، وجدها هادئة مطيعة كما تخيلها، أنجب منها ثلاثة أولاد وأنا.. البنت الوحيدة لأب يكره أن يرزقه الله بواحدة. لم يغفر لها إنجابي وتعامل معها كأنها أخطأت في اختيار نوع الجنين. هجر فراشها ولم يتحمل الوضع؛ فهجر بعدها بيتنا لأسابيع طويلة. لم أنجح في الحصول على محبته مهما فعلت، كان ينظر لي كخطيئة. وتلك النظرة لم تفارقني ما حييت. بمرور الوقت أصبحت أنا بشكل ما خطيئة له ولغيره. بلا نفع أو فائدة. امتلك بالفعل ثلاثة أولاد ما حاجته لي؟!

على الرغم من كرهه الشديد لي، حاولت أمي تعويضي عما فقدته معه. لكن الحياة أبت أن تمنحني الكثير من الحب.. اختارها القدر أو الرب لجواره أسرع مما توقعت. كثيرًا ما تساءلت بيني وبين نفسي لماذا ينحاز الرب للرجال؟ رحلت أمي وأنا بنت التاسعة والنصف، أما عن عبد السلام فسرعان ما شرع في رحلة البحث عن بديل لامرأة تشاركه سريره. اختار واحدة من الجيران وتلك المرأة كانت الأكثر حظا من بينهن، لم تتحمل الحياة معنا ومع عبد السلام وهربت أثناء وجوده في دكانة الفاكهة بمساعدتي. أشفقت عليها... لم أكن أعلم وقتها ما الذي يحدث بينهما والذي تسبب في حالة الذعر التي كانت عليها أما الآن فأنا أفهمها وأشفق على نفسي أيضا.

تم الطلاق واختار بعدها زوجته الحالية فهيمة وفي الحقيقة أنا أحبها، نجحت فهيمة في فعل ما لم تستطع أمي فعله. أنجب منها ولدان. وهكذا أصبحنا خمسة أولاد وبنت وحيدة. مرت السنوات بين كراهية أبي وخلافاتي مع زوجته الحالية بعدها تم بيع فتحية بنت عبد السلام خلال صفقة مع أحد

التجار وتزوجت من حكيم عبد النبي، رجل يكبرني بخمسة عشر عامًا، كنت الزوجة الثانية له، زوجة يجدد بها ومعها شبابه. واجهت مصيري الذي تشابه مع مصير أمي. الفارق الوحيد أن عبد السلام كان يحب أمي، على الأقل حسب تعريفه هو عن الحب. فكرت كثيرًا ولم أجد تعريفًا داخلي للحب، لم أختبره قط. مع حكيم لم أكن أكثر من أداة للجنس. وفي خلال سنة أنجبت طفلي الأول والأخير.. ربيع. مما حسن وضعي عند زوجي حكيم، لكنه لم يرزق حبي في كل الأحوال وقد تصالحت مع تلك الفكرة منذ وقت بعيد.

هل أنا شخص غير صالح للحب؟ تمسكت بحب ربيع لي، نما الحب داخلي تجاهه ومعه في كل يوم. حتى ابتلعه المجهول.. لم يسلبني الرب إياه. أخفته عني الأقدار، لسبب غير معلوم. بعد عصر يوم من أيامي المتشابهة خرج ولم يعد. اعتبرني زوجي نذير شؤم وطلقني. لم أحزن ولم أبك، فقدت القدرة على الحزن. تشابهت داخلي كل المشاعر. فراغ من بعده فراغ من بعده فراغ..

من أجل التسلية

لقد كان هذا القرار فقط من أجل التسلية.. فهو وحيد وحيران يفتقد للإثارة بين تفاصيل أيامه. كل ما حوله يحبه، يوقره، ويخضع له.. بمعنى أدق كل ما يحدث حاليًا هو ممل ورتيب. حسم أمره بعدما استقر فوق النجوم التي بنى منها عرشه في حلته الذهبية، وكان عددهم إحدى عشر نجمة. جلس في وضعيته المفضلة مشبكا كلتا يديه وقدميه العشرة وهمس باسم واحد من خدامه المقربين هولوك.. فحضر في الحال.

-ماذا تريد مني أيها الإله العظيم؟ بماذا أستطيع أن أخدمك؟

-أنا حزين يا هولوك، حزين ووحيد.

-اللعنة على السماء والسحب والكواكب والنجوم التي تحمل هذا العرش. كيف يحزن إلهي العظيم، وكل هذا ملك له؟

-الأمر ليس كذلك يا هولوك، أنت تعلم أن لي شركاء في مجرتنا.

-وما المشكلة في ذلك يا إلهي العظيم؟

-أرغب في المزيد، فيما يميزني عن غيري. عنهم جميعًا.

-حسنًا، بماذا تأمرني يا سيدي؟

-هذه هي المشكلة، مشكلتي أنكم جميعا طائعين لي ولأوامري.. أتعلم يا هولوك إني لأرغب في من يتمرد عليّ.

-يتمرد! ومن يجرؤ على التمرد عليك يا إلهي العظيم فاسيليكي؟

-لا أعلم.. ربما مخلوقات جديدة من نوع آخر.

-وهل يسمح لك باقي الآلهة بخلق أنواع جديدة؟!

-امم، لا أعلم.. هذه هي مهمتك إذن يا هولوك. اذهب فورًا وأخبرهم بقراري.

-أمرك يا إلهي العظيم فاسيليكي.

طال انتظاره وزحف التوتر نحو قلبه فبدأ دون أن يشعر في عادته التي يسيطر بها على قلقه وهي انتزاع شعيرات حاجبه الأيسر النارية. حتى يخيل للرائي أنه يمتلك حاجبًا واحدًا. تنقل بين النجوم لمدة ليست بالقصيرة حتى لمح هولوك عائدًا وعلى وجهه نظرات غامضة غير مفهومة.

-ماذا حدث يا هولوك؟

-انقسمت الآلهة يا سيدي.. وافقت كاتاليا ورفض هلادا.

-امم، وماذا قال هلادا؟

-قال ماذا لو كان مصيرنا بيد معتوه يعبث بنا ويلهو معنا كيف يشاء. هل تريدون أن تخاطروا بمملكة النجوم من أجل إله يشعر ببعض الملل؟!

-امم، حسنًا انصرف يا هولوك.

-أمرك يا إلهي العظيم.

جلس فاسيليكي فوق عرشه يفكر في رغبته العارمة تجاه اكتشاف الجديد، ما وراء تلك المملكة وتحت النجوم وما يقبع خلف عرشه.. ما الحل؟

-يا هولوك!

-أمرك يا إلهي العظيم فاسيليكي.

-أليست الجنة الشرقية ملك لي وحدي؟

-هو كذلك يا سيدي.

-حسنًا، إذن يحق لي التصرف فيها كيف أشاء.

-وبماذا يأمرني إلهي فاسيليكي؟

-متمردين، الكثير من المتمردين.

-اعذرني يا سيدي، لكن كيف تأمن غدر المتمردين؟ كلنا هنا في خدمتك، كيف سيكون الوضع بعد وجود متمردين بيننا؟ ألست خائفًا منهم؟ من زوال حكمك؟

-وهل تعرف الآلهة الخوف يا هولوك؟!

-أعتذر من سيدي العظيم فاسيليكي.

-انصرف.

وبعد سقوط تسعة نجوم أمر فاسيليكي هولوك وبقية الخدم أن يساعدوه في خلق مخلوق جديد من نوع خاص ومختلف تماما عنهم.

واستغرق خلقه سقوط تسعة نجوم أخرى، مدة اختبر فيها فاسيليكي للمرة الأولى صعوبة الانتظار. حتى دخل عليه هولوك وأريا وجولولني حاملين فوق رؤوسهم الثمانية المخلوق الجديد.

هلل فاسيليكي فور رؤيته ولمعت نجوم عرشه، وقفز في حركة مفاجئة يتحسس واحدة من الأذرع المتدلية للمخلوق. وسأل هولوك: ما به؟

-في انتظار أمر التفعيل من إلهي فاسيليكي.

-ها! آمرك يا... ما اسمه يا هولوك؟

-في انتظار أمر سيدي فاسيليكي.

-امم، حسنًا فلنسميه جرجور. فهو يشبه نبات الجرجور في لونه وملمسه ورائحته.

-ما أعظم إلهي فاسيليكي. بالفعل يا سيدي، لقد خلقناه من نبات الجرجور.

-همم.. حسنًا استيقظ أيها الجرجور الجديد، أهلًا بك في مملكتي المضيئة بالنجوم.

بدأ جرجور المخلوق الجديد في الزحف باتجاه الإله فاسيليكي، ونبض معه الخوف داخل قلب فاسيليكي.

فشل أن يحدد ماهية هذا المخلوق ولماذا ينظر له بتلك الطريقة البشعة؟ في الحقيقة كان يتجاهله، كل ما كان يشغله هو العرش. وهنا جاء دور الإطاحة بفاسيليكي، وقد كانت مهمة سهلة على جرجور.

فقوة هولوك والخدم تنبع من فاسيليكي، وقد تحرك فور خلقه ليدمر عرش فاسيليكي بأمر من كاتاليا وهلادا وبخيانة هولوك بالطبع.

وهنا خسر فاسيليكي ملكه أمام كاتاليا وهلادا من أجل متعته مع جرجور.

تمت

إلى اللقاء في حكايات قادمة..

في صباحٍ من صباحات أغسطس، وبينما كنت أقطع الطريق نحو العمل تحت شمس تنثر ذهبها فوق الأرصفة، استوقفني .شيء غير مألوف

يافطة معلّقة على واجهة محل صغير، بالكاد ترى من فرط تواضعها، كتب عليها بخط يدوي مرتبك: فرصة لتبديل وتصحيح !أخطائك

توقفت، ومرّ في خاطري تساؤل غريب:

هل ما قرأته لتوّي حقيقي؟

زجاجة لإصلاح القلوب المكسورة؟

إسراء سامي عبد الهادي شاهين، من مواليد 19 سبتمبر 1993، حاصلة على بكالوريوس من كلية الآداب، شعبة اللغة العبرية. إلى جانب كونها كاتبة روائية، لديها تجربة غنية في الكتابة الصحفية، المقالات، والقصص القصيرة.

معدة ومقدمة برنامج بعنوان "بطل في الورق" محتواه هو تلخيص الكتب العلمية والنفسية أو الروايات تسهيلًا على القراء.

دونت الكاتبة ثلاث روايات ، "روح عارية" هي أولى رواياتها المنشورة يناير 2024، وهي خطوة تُبرز موهبتها الفريدة في تقديم دراما جريئة تلامس أعماق القارئ.